10

تنظيم
جمال عبد الناصر
«الطليعي!!»

obeikan.com

obeikan.com

التنظيم الطليعي كما عرف الناس اسمه. أو تنظيم « طليعة الاشتراكيين » كما سماه جمال عبد الناصر ، كان هو المحاولة الرابعة لجمال عبد الناصر لكي يجعل للثورة تنظيمًا ، كانت هيئة التحرير تنظيم الثورة الأول ، وتلاها الاتحاد القومي ، أما الثالث فكان الاتحاد الاشتراكي العربي . ثم كان التنظيم الطليعي آخر المحاولات كان رابعهم.

وبرغم أن عبد الناصر أجهد نفسه ، وأجهد فلاسفته ، كثيرًا ، لكي يؤيد في أكثر من مناسبة أن كل تنظيم من هؤلاء ، كان يخدم مرحلة ثورية معينة ، من مراحل الثورة العديدة . أي أن واحدًا من الثلاثة الأول ، لم يكن يشبه الآخر ، لا في عناصر تكوينه ولا في أهدافه ، برغم ذلك أراد عبد الناصر تنظيمه الرابع «طليعة الاشتراكيين » أن يكون تنظيما مختلفا عن التنظيمات السابقة جميعًا . إذا كان قد وعي الدرس .(أو هو ظن ذلك) في صعوبة بل استحالة تكوين تنظيم ثوري من موقع السلطة.

قرر جمال عبد الناصر أن يقيم تنظيمه الرابع بشكل سري ، أي أن يكون تنظيمه الطليعي سريًا، وكان لتلك السرية غرض ـ خفي أو مخفي ـ في نفس جمال عبد الناصر.

في الاجتماع التمهيدي الأول[1] الذي عقده جمال عبد الناصر ، لإنشاء تنظيمه . وحضره السادة علي صبري ، محمد حسنين هيكل ، أحمد فؤاد ، عباس رضوان ، وسامي شرف . قال جمال عبد الناصر إنه يجب أن يضع أمام المجتمعين عدة نقاط . أولها : تقديره الكامل لصعوبة تكوين حزب من قمة السلطة أو بواسطتها (كان

(١) أعتمد في معظم ما جاء في هذه الجزئية » تنظيم عبد الناصر الطليعي » علي حوار في كتاب ، أجراه عبد الله إمام مع سامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات والرجل الثاني في التنظيم الطليعي ، سماه (عبد الناصر وكيف حكم مصر؟) مدبولي الصغير . القاهرة. الطبعة الأولي عام ١٩٦٩.

عبد الناصر يظن أنه وعي الدرس ولم يكن الدرس شيئًا سوي) لما يترتب علي ذلك من مصاعب ، ومشاكل من بينها ، محاولات تسلل العناصر الانتهازية إلى تنظيمات السلطة.

ثانية النقاط : الإصرار على السرية ، سواء في الاتصال بالكوادر، أو في الاجتماعات (التنظيمية) ، أو في تداول المناقشات (بين الأفراد في غير الاجتماعات التنظيمية)والتي تتم بين الأعضاء.

ثالثة النقاط : العمل بقدر الإمكان (خل بالك من قدر الإمكان هذه) علي مراعاة الطبيعة البشرية ، ونوعية العناصر التي تساهم في هذا العمل (هؤلاء الذين سوف يتم اختيارهم وتجنيدهم سرًا للعمل التنظيمي ، فطبيعي أن لا يتقدم الأعضاء بطلب التحاق أو ضم لحزب سري) ، علي أن تنطبق علي الشخص المرشح الشروط والمواصفات ، وألا تتم مفاتحة العضو في أمر اختياره وتجنيده إلا بعد أن يوضع فترة كافية تحت الاختبار تكفي لأن تدرس القيادة السياسية موقفه بالدقة اللازمة.

رابعة النقاط : كانت الشروط الواجب توافرها في العضو ، مع الوضع في الاعتبار العوامل الإنسانية والعوامل البشرية (محيرة تلك العوامل البشرية والإنسانية التي يرد ذكرها كثيرًا في الاختيار ، ألم أقل لك من قبل خل بالك !) ومنها أن المرشح لابد أن يكون مؤمنا بثورة ٢٣ يوليو وقوانينها (مع أن القوانين قابلة للتغير !!) عن قناعه ، مؤمنا بالنظام الاشتراكي وقادرًا علي الالتزام بالسرية ، أن يكون عنصرًا حركيًا يستطيع أن يناقش وأن يقنع الجماهير (خل بالك بقوة من يقنع الجماهير هذه يقنعهم، لا يسمع منهم، لا يتعلم منهم ، لا ينقل آراءهم لا.. من الأول كده .. يقنعهم) ، يقبل النقد ، ويمارس النقد الذاتي. (هل هذه عوامل إنسانية وبشرية ؟)

خامسة النقاط : أن تتوفر فيه الطهارة الثورية (ألم يكن من الواجب ضم تلك

النقطة على ما قبلها ، أليس هذه وما سيتلوها شروطًا من الواجب توافرها في العضو المختار؟) مع الوضع فى الاعتبار العنصر البشري (مرة ثالثة !!!) ، كما أن يكون المرشح عنصرًا مفيدًا في حركة التنظيم ، بمعني أن يكون جماهيريا خاصة في المرحلة الأولى (!!!) فتُرشح العناصر التي لها القدرة علي التحرك ، وسط الجماهير بشكل مقبول ومقنع (..) القادرين الذين يعتمد عليهم في الدعوة والفكر وفي كل المهام السياسية (خل بالك أيضا وبقوة من الدعوة والفكر تلك الدعوة والفكر لما سيأتي العضو من فوق بالطبع).

هذا ما قاله جمال عبد الناصر في الاجتماع التمهيدي الأول لإنشاء حزبه الرابع ، حزب طليعة الاشتراكيين ولعل القارئ قد لا حظ أنني ـ مؤخرًا ـ قد استبدلت صفة حزب بصفة تنظيم . فالحقيقة . التي سنوردها بعد قليل . أن عبد الناصر أراد تنظيمه الطليعي هذا حزبًا ، أيضا لغرض في نفس جمال عبد الناصر . لكن ما يعنينا أن نركز علي :

- إصرار عبد الناصر على سرية تنظيمه الذي سيتحول إلى حزب.

- ورود لفظ «بقدر الإمكان » بعد أي جملة تتضمن العوامل البشرية.

وفي الاجتماع التمهيدي الثاني لإنشاء التنظيم الطليعي. قال جمال عبد الناصر « لابد من التعرف على الوسائل الإيجابية التي تمكن من التوصل إلى العمل السياسي بحيث يكون التنظيم موصلًا جيدًا بين القيادة والقاعدة (بعد ثلاث محاولات لإقامة تنظيمات للثورة . يري جمال عبد الناصر ضرورة التعرف علي الوسائل الإيجابية التي تمكن من التوصل للعمل السياسي !!، أيضا خل بالك من الترتيب في جملة »موصلًا جيدًا بين القيادة والقاعدة يعني لا توصيل في الاتحاد الآخر من القاعدة إلى القيادة !!) وأن يكون مستعدًا للكفاح والنضال من أجل تحقيق الأهداف التي أعلنتها ثورة يوليو ١٩٥٢ .

وقال أيضا :

« نريد أن نغير الوضع ، ونبتعد عن العمل بالكلام فقط (يقصد أن القول كان بديلًا للفعل) الناس شبعوا «كلام » ، ونريد مزيدًا من العمل ، الناس يريدون معرفة (خل بالك من معرفة هذه) ماذا تم بالنسبة لأهدافنا بتحقيق المجتمع الاشتراكي (عبد الناصر في كل عيد ثورة كان يكلمنا عن إنجازات الثورة منذ قامت عام ١٩٥٢ إلى تاريخ العيد الذي يتكلم فيه . ومازال وهو ينشئ تنظيمه الطليعي حزب جمال عبد الناصر المستقبلي متصورًا أن الناس تحتاج إلى أن تعرف ما تم !!) وهي أهداف واسعة ، والعملية ليست مرسومة في تقارير ، فليس هناك رسم معين للعملية[1] (هو هنا يقصد الخطة العملية لتنظيمه) (..) أتصور أن أمامنا عمليتين أساسيتين هما :

عملية التفسير (خل بالك !!) وتنشيط العمل السياسي القائم .

عملية التنظيم السياسي الداخلي

ولكي نفهم جيدًا ما قاله جمال عبد الناصر في الاجتماعين التمهيديين – الأول والثاني – دعونا نفهم فكرة التنظيم أولًا .

اصطياد عصفورين .. بتنظيم واحد

لقد استفاد جمال عبد الناصر من أن فكرة وجود تنظيم داخل الاتحاد الاشتراكي كانت قد وردت في الميثاق الوطني ، إذ ذكر الميثاق أنه «لابد أن يكون في الاتحاد الاشتراكي ، جهاز يكون بمثابة القلب من الجسم أي أنه هو الذي يحرك الاتحاد الاشتراكي، التنظيم الكبير الواسع ، استفاد عبد الناصر مما جاء في الميثاق ليضرب عصفورين بتنظيم واحد !.

(١) الاضطراب الحادث في بعض الجمل ، الذي يؤدي إلى صعوبة في الهضم ، ليس من عندي فأنا أنقل عن الكتاب مباشرة . وأحاول التفسير قدر الإمكان وخل بالك من «قدر الإمكان» هذه أيضًا.

الأول : أن يحرك الاتحاد الاشتراكي (وخل بالك من تحريك هذه) بجهازه الذي أسماه « طليعة الاشتراكيين » ، مخططا لأن يعمل تنظيمه الجديد السري في كل مستويات الاتحاد الاشتراكي من القمة إلى القاعدة ، لينشط العمل بأساليب جديدة ويعطى دفعة قوية لعملية التفسير (!!) وفي ذلك قال «أنت تعمل خلال جماهير الاتحاد الاشتراكي والقاعدة قاعدة الاتحاد الاشتراكي ، ومن خلالها تحدث مناقشات ولقاءات ، والتعرف علي مشاكل الجماهير والعمل على حلها (دون أخذ رأي الجماهير في حل مشاكلهم)» ذلك لأن «التنظيم هو الذي يجعل القيادة متصلة بمشاكل الناس ، ويعمل علي حل مشاكل الناس ، والمشاكل لن تنتهي ، وهي ليست موجودة في مجتمعنا فقط ، فهي موجودة في كل المجتمعات ، ولا شك أن التنظيم (الطليعي) هو الذي يجعلنا قادرين علي التحرك نحو حلها ، وأن نرد بصراحة ووضوح وإقناع ، حتى تتم التوعية السليمة في المشاكل التي لا يمكن حلها » (خل بالك من كلمتي «يرد »و«التوعية»)[1].

الثاني : (ثاني العصفورين اللذين أراد عبد الناصر ضربهما بتنظيم واحد) أن يجعل من هذا الجهاز (التنظيم) حزبه (حزب جمال عبد الناصر) عندما يعلن تعدد الأحزاب ، في قول بعد تحرير الأرض العربية (عبد الناصر لم يكن يعني أبدًا بتحرير الأرض الأرض المصرية ، كان يعني دومًا – وهذه حقيقة نذكرها للرجل – بتحرير الأرض ، تحرير الأرض العربية كلها التي أغتصبها العدوان الصهيوني عام ١٩٦٧) وفي

(١) أخبرني المهندس أحمد الحمدي وكان من قيادات الطلبة البارزين في جامعة عين شمس ، ومن قيادات التنظيم الطليعي البارزين أيضا ، والذين كان اتصالهم مباشرًا بسامي شرف أن التنظيم كان له فرع داخل القوات المسلحة وكان يشرف علية سامي شرف شخصيًا ، ذلك أن عبد الناصر كان قد لسع من «شوربة» عبد الحكيم عامر فكان لابد وأن ينفخ في «زبادي»محمد فوزي القائد العام للقوات المسلحة بعد النكسة.

قول ثان ، بعد إزالة آثار العدوان (أي بعد أن يحرر الأرض العربية ويزيل آثار العدوان !) وفى قول ثالث ، أنه كان سيعلن تعدد الأحزاب بدلًا من حزبه الأوحد الحاكم ، بعد إعادة البناء . (أي بعد أن يحرر الأرض ، وبعد أن يزيل من الأرض المحررة أثار العدوان ، وبعد أن يعيد البناء الذي دمرته الحرب والذي توقف أيضا بسببها !).

يقول سامي شرف « في أيامه الأخيرة – على نحو ما تثبت المحاضر – قرر عبد الناصر أن يكون هناك أكثر من حزب سياسي بعد تحرير الأرض (هذا هو القول الأول) ومن المفارقات أن الذي أعترض على ذلك ، هو أنور السادات ، الذي لم يكن عضوًا في تنظيم طليعة الاشتراكيين» ص ١٨٣ .

ويقول أيضا « لم يكن غائبًا عن فكر جمال عبد الناصر تعميق الديمقراطية بشكل عام ، وقد تطور في تفكيره عام ١٩٧٠ في أيامه الأخيرة بالفعل ، فقد توفي في نفس العام إلى تقرير أنه لابد من وجود أكثر من حزب (..) وكان قد استقر منذ فترة على أن يكون تنظيم طليعة الاشتراكيين حزبًا ص ١٩٢ .

ويقول سامي شرف أيضا : « عبد الناصر كان قد قرر أن تأخذ مصر بنظام التعدد الحزبي بدءًا من عام ١٩٧٥ ، حيث نكون قد أزلنا العدوان من الأرض العربية تماما و أزلنا آثار العدوان ص ٢٠٥ » (القول الثاني) وبعد «إعادة البناء ص٢٢٧ (القول الثالث).

هذان إذن العصفوران اللذان أراد عبد الناصر ضربهما بتنظيمه . وإن كان من الواضح إذا ما دققنا في جملة سامي شرف » وكان قد استقر – جمال عبد الناصر – منذ فترة على أن يكون تنظيم طليعة الاشتراكيين حزبًا «أن العصفور الأول (تفعيل الاتحاد الاشتراكي وتنشيط عملية التفسير ، أو شرح ما هو كائن للجماهير) كان هو العصفور الأهم لدى جمال عبد الناصر .. من الواضح أن عبد الناصر أراد العصفور

الأول ، ثم بعد ذلك استقر علي أن يضرب العصفور الثاني بتنظيه الطليعي ..علي أن يضرب العصفور الثاني بعد تحرير الأرض العربية ، وإزالة آثار العدوان عن الأرض المحررة ، إعادة البناء (يعني حِلَني!!).

المهم الآن – بعد كل ما ذكرنا – أن نستطيع رسم صورة للديمقراطية كما كان يفهم جمال عبد الناصر معناها ، وليس كما يجب أن تكون ، والتي في سياقها عمد جمال عبد الناصر – بعد النكسة – إلي إقامة الطليعي الطبيعي (وهي صورة نستكمل بها الصورة التي استخرجناها عن بيان ٣٠ مارس).

صورة .. والفرشاة كلمات جمال عبد الناصر.

إن الملامح التي تستطيع أن ترسم لنا الصورة فيما سبق من كلمات – لابد وأن تكون :

أ- إصرار عبد الناصر علي سرية تنظيمه.

ب- كلمات وجمل مثل «الدعوة والفكر » ، « يناقش – التنظيم – ويقنع الجماهير » ، أن يكون التنظيم « موصلًا جيدًا بين القيادة والجماهير » ، الناس يريدون معرفة ما تم .« ترشيح العناصر التي لها قدرة علي التحرك ، وسط الجماهير » ، «عملية التفسير» ، تحريك الاتحاد الاشتراكي » ، « من القمة إلى القاعدة »،« حتى تتم التوعية السليمة ».

ج- جملة «قدر الإمكان » التي ترد بعد كل ما ذكر للعوامل البشرية والطبائع البشرية (بشكل محير!!).

هذه هي الملامح .. ولعل القارئ قد لا حظ أن كلها ملامح قديمة قدمت الثورة كلها ، لم يضف عبد الناصر جديدًا إليها – في نهاية حياته « وقد تطور في تفكيره !» – غير « السرية » (إذا كانت تنظيمات الثورة – بعد قيامها – تنظيمات علنية ، تسعي إلى

حشد الجماهير – الشعب – المواطنين ، حول مبادئ الثورة.

ولكن فلنته من السرية أولًا (تلك الجديد المضاف) حتى نخلص إلي رسم ملامح الديمقراطية (الناصرية) (بعد أن تطور فكر جمال عبد الناصر في أيامه الأخيرة).

لماذا « السرية » .. ولماذا توقيتاتها الدقيقة !!

لقد أصبحت السرية مطلبًا أساسيًا مُلحًا لعبد الناصر في آخر تنظيمات الثورة ، خصوصًا بعد نكسة يونيو١٩٦٧ [(١)]. بل وبالتأكيد بعد مظاهرات الطلبة في فبراير ١٩٦٨ ، ولا أظن – كما يشاع – أن عبد الناصر قد قصد بالسرية تأمين النقاء الثوري لعناصر تنظيمه ، حقيقة أن السرية كانت ستمنع أعضاء التنظيم من إعلان أنهم «واصلون »، بما يعوق محاولاتهم للانتفاع بـ « وصولهم » هذا ، فلا يبقى لهم إلا الجدية الثورية والنقاء الثوري ، لكن التوقيت الذي ألح علي عبد الناصر باحتياجه المُلَّح إلي السرية هذه – بعد النكسة – يظهر أن جمال عبد الناصر – فى المقام الأول – كان يشعر خوفًا من الثورة المضادة[(٢)] ، من الثورة عليه (عبد الناصر كان يسمي الثورة علية في أي اتجاه تقدمي أو رجعي ثورة مضادة !) ، لقد أحس جمال عبد الناصر بعد النكسة بأن شرعيته قد اهتزت [قلنا من قبل أن عبد الناصر فهم وقفة ٩ ،١٠ يونيو علي حقيقتها ، فهمها وقفة ضد أن يفرض أعداء الشعوب « الإمبرياليون » – بقيادة ورعاية الولايات المتحدة الأمريكية – ما يريدون علي هذا

(١) التنظيم الطليعي بدأ قبل نكسة يونيو ١٩٦٧ ، وكان سريًا ، لقد بدأ منذ ١٩٦٥ ، منذ الفترة التي أظهرت المؤسسة العسكرية بقيادة عبد الحكيم عامر فيها أنيابها لجمال عبد الناصر ، وقد أراد جمال عبد الناصر أن يكون تنظيمه السري قوة له في مواجهتها ، مثلما كان الأمر مع الاتحاد الاشتراكي ، ومنظمة الشباب الاشتراكي ، لكن التنظيم الطليعي توسع للغاية بعد النكسة مباشرة وضم أعدادًا كبيرة من الطلاب بعد مظاهرات فبراير ١٩٦٨ ، وهذا هو ما نقصده عندما نقول » خصوصا.

(٢) منذ ١٩٦٥ وقبل للنكسة كان يستشعر خوفًا من النمو الأسطورة لسلطة القوات المسلحة.

الشعب ، لقد كانت دعوة للاستمرار ، وللحفاظ علي المكتسبات ، ولم تكن تأييدًا شخصيًا له ، فقد كان عبد الناصر أكثر ذكاء من أن يتصورها تأييدًا شخصيًا ، في الوقت الذي يصل إليه فيه أنكاسات النكسة علي مؤيديه أنفسهم ، ومطالبة الجميع بالتغيير في نفس الوقت الذي يعلنون فيه تمسكهم به كرمز في مواجهة أعداء الشعب – أعدائه – ، لقد فهم جمال عبد الناصر أن الناس الذين كانوا يفوضونه – قبلا – أصبحوا الآن يتمسكون به ولكن « بشروطهم » أيضا فإن عبد الناصر كان يعلم أن وقفة ٩، ١٠ يونيو ، تمت والجماهير لم تكن قد استوعبت بعد حجم النكسة ، ولم تكن تدري شيئا من أسبابها ، أو لم تكن تدري أسبابها الحقيقية على وجه اليقين .. ، ولقد رأى عبد الناصر بأذنيه كيف كان انعكاس محاكمات عبد الحكيم عامر ومجموعته (حوكم المشير بعد وفاته علنا) ومحاكمات صلاح نصر وإدارته ، ومحاكمات الطيران علي الجماهير ، التي بدأت تستوعب فساد النظام الذي أدى إلى النكسة ، وتفشي الجهل الذي تفاقم بحجمها. وكان عبد الناصر يدري أن المسألة مسألة وقت ، وقد صرح هو نفسه في مجلس الوزراء أن الناس لن تحتمل أكثر من ثمانية شهور ، وكأنه كان يقرأ في الغيب ميعاد مظاهرات الطلبة في فبراير ١٩٦٨ .

تأكد عبد الناصر بعد النكسة مباشرة ، شرعيته و شرعية نظامه قد اهتزت ، وقد أوضح هذا الأمر الأستاذ محمد حسنين هيكل أحسن إيضاح ، عندما أورد علي لسان « ديجول» تلك المقولة العظيمة «إن النظام الذي لا يستطيع أن يحافظ علي الأرض، يفقد شرعيته[1] ، كان عبد الناصر وهيكل يعيان الأمر بكل أبعاده ، ويعرفان أن المسألة مسألة وقت وأظن أن هذا – وليس كل الظن إثم – مبعث إلحاح السرية علي جمال عبد الناصر في شأن توسيع تنظيمه الجديد – أراد عبد الناصر أن

(١) راجع الطريق إلى ١٠ رمضان للأستاذ هيكل.

يتواجد في كل مستويات الاتحاد الاشتراكي وبين الجماهير بمن لا تعرف الجماهير انتماءهم المباشر له ، وبهذا يستطيع أن يتابع أعداء ثورته – أعداءه- وأعداء نظامه في كل الاتجاهات الفكرية عن كثب دون أن يعرفوا هم أنه أقرب إليهم بأنه مما يتصورون (راجع فيما قاله جمال عبد الناصر رغبته فيمن يؤمنون بالثورة وقوانينها ، المستعدين للدفاع عنها ، وإقناع الجماهير ، وتعريفهم بما تم ..و..و..و..).

أراد عبد الناصر تنظيما يدافع عن نظامه ، ضد أعداء نظامه (لا أقول ثورته ، فالرجعية والإخوان المسلمون ، الذين طالما استعملهم عبد الناصر بعد النكسة ، كخيال مآته وفزاعة ، تهش العصافير الثورية عن قمحة السلطوي.. لم تكن لهم تلك القوة .. إذ كان عبد الناصر ومنظروه يعلمون جيدًا أن الشعب الذي خرج ٩ ، ١٠ يونيو ، خرج ضد الرجعية وضد أنصار الخضوع للغرب أيا كانت مواقعهم الطبقية أو الفكرية).

لم يكن الأمر إذن أمرًا للديمقراطية .

كان الأمر أمر حماية النظام ، وتسكين ثورة الناس ، حتى يستطيع النظام – في رأي عبد الناصر – إصلاح الأخطاء. (التجنيد للتنظيم الطليعي ، كان يتم علي أساس رغبة العضو المرتقب في الدفاع عن ثورة ٢٣ يوليو ونظام جمال عبد الناصر) .

لم يكن الأمر أمر ديمقراطية ، ولو كان عبد الناصر – كما يدعي أنصاره ممن لا يرون أخطاءه ، أو ممن لا يرون أخطاءه بحجمها الحقيقي ، وانعكاساتها المدمرة علي حركة الجماهير الثورية ، لو كان عبد الناصر يريد ديمقراطية حقيقية وثوريين شرفاء أنقياء ، لما لجأ إلى السرية وكان قد لجأ للديمقراطية التي يكرهها ، فليس أكثر مدعاة لفرح الجماهير – أنصار – الثورة – من أن يروا ويعرفوا – علنا – رجالًا جددًا لجمال عبد الناصر يتسمون بالديمقراطية الحقيقية وبالنقاء الثوري ، والطهارة. ودليلي الواضح علي هذا الأمور ، أن بعض الديمقراطيين فى تنظيم عبد الناصر الطليعي ،

الشرفاء عن حق ، عندما أخذوا الأمور جدًا ، دفع بعضهم الثمن غاليا ، بل ودخل بعضهم السجون والمعتقلات كأعداء للثورة (لم يكونوا أعداء للثورة بالطبع ، لكن جمال عبد الناصر كان يري منتقدي نظامه أعداء للثورة).

كان الأمر أمر حماية النظام . وليس سرًا أن التجنيد للتنظيم الطليعي كان يري تصاعدًا جديدًا ومكثفًا ، بعد أي مظاهرات تنتقد النظام (حتى وإن كان بعضها لم ينتقد جمال عبد الناصر شخصيًا ، ودليلي الآخر استخدام جمال عبد الناصر ، أعضاء التنظيم الطليعي لتهدئة مظاهرات المنصورة والإسكندرية في نوفمبر ، أو هكذا أراد منهم ، وإن كان – كعادته – في عدم الثقة حتى في رجاله ، أرسل معهم إلى المنصورة نائبه أنور السادات الذي لم يكن عضوًا بالتنظيم الطليعي (كما يؤكد سامي شرف) ، لإحداث التوازن بمجموعتين متنافرتين تكون الواحدة – دون قصد – فيهما عين علي الأخرى.

الأمر أكثر سهولة .. فلماذا كل هذا التعب ؟

ولكن لماذا نجهد أنفسنا إلى هذا الحد لنثبت أن التنظيم الطليعي لم يكن بغرض الانتقال إلى ديمقراطية حقيقية أو إصلاح عيوب النظام . لماذا نجهد أنفسنا ، برغم أننا مقتنعون أن الديمقراطية كما كان يفهمها جمال عبد الناصر ، لا تشبه الديمقراطية إلا في خياله هو .. لقد جاء الوقت لنري في الملمحين الآخرين من دقائق الصورة .. [وأقصد بهما (أرجع قليلا) الكلمات والجمل المعبرة عن فكر جمال عبد الناصر ، الخاصة بالشروط الواجب توافرها في أعضاء التنظيم وإضافة جملة « قدر الإمكان » إلى كلام عن الطبائع البشرية] فكرته عن الديمقراطية.

إن الكلمات والجمل التي أوردناها من قبل تظهر بجلاء بقاء عبد الناصر (بعد تطوره) علي مفهومه القديم للأمر .. هذا المفهوم الذي يؤكد أن جمال عبد الناصر هو الإداري بمصلحة الجماهير وأن ما هو مطلوب من رجاله إقناع الناس بذلك .

وأن عبد الناصر سيفعل كل شيء بالنيابة عن الجماهير ، وليس علي أعضاء تنظيمه الرابع إلا أن يكونوا موصلين جيدين بين القيادة والجماهير (لاحظ خط التوصيل المطلوب .. من فوق إلى تحت .. لكن من تحت إلى فوق يقابله دومًا الإقناع والدعوة والفكر)، وأن ليس في الإمكان أفضل مما كان وأن «نرد بصراحة ووضوح وإقناع حتى تتم التوعية السليمة في المشاكل التي لا يمكن حلها » ، هذه كانت – حتى وفاة جمال عبد الناصر – رؤيته للديمقراطية. وهي تعني التفويض بنسبة ١٠٠٪ ، والثقة المطلقة .. بينما الديمقراطية الحقيقية تعني أن الشعوب أدري بمصالح أفرادها (المصالح تختلف بين الطبقات ، وبين فئات وشرائح الطبقة الواحدة أيضا) وأنها قادرة بمبادراتها علي حل مشاكلها .. (عبد الناصر اعتبر مبادرة الطلاب لرسم صورة التغيير الذي يريده الشعب ، والوسائل الموصلة له ، شغب وأن الرجعية وأعداء الثورة قد تلاعبوا بهم ، وفي أحسن الأحوال نفاد صبر غير مطلوب والعدو يقف وقفته الشرسة علي أبوابنا ، وقد سيطر علي بعض أراضينا بالفعل).

وتعالوا نر بعض مقولات الرجل الثاني في تنظيم جمال عبد الناصر الطليعي المستمدة مباشرة من الزعيم ..

يقول سامي شرف :

أي تقييم لتجربة الديمقراطية ، يجب أن ينطلق من نوعية النظام ، وهي ربط الديمقراطية السياسية بالديمقراطية الاجتماعية ، منذ ٥٦ تستطيع أن تقول إنه كانت هناك خطوات لمشاركة الجماهير بتطبيق الأبعاد الاجتماعية لحرية المواطن (شفت الأبعاد) ، بمعني توسيع التعليم ثم مجانيته الكاملة ، ومجانية العلاج ، وحق الانتخاب للمرأة ، وتخفيض سن الإدلاء بالصوت (الانتخابي) إلى ١٨ سنة ، سنة ١٩٦١ (..) انتقل – جمال عبد الناصر – إلى خطوة متقدمة أكثر وهي العمل علي

منع الاستغلال.

* بالنسبة للديمقراطية« كلمة مطاطة جدًا » ، بالنسبة للديمقراطية المفروض أن تطبق في مصر ذات المضمون الاجتماعي وفقا لرؤية جمال عبد الناصر.

* وبالنسبة لمشاركة الجماهير في صنع القرار يري « سامي شرف » أن الجماهير قد شاركت في أزمة مارس ١٩٥٤ وفى « ٩و١٠ يونيو» « وفي ٢٨ سبتمبر ، عندما مات الرجل خرج مليون يبكونه بالدم ، بعد أن مات ماذا يخيفهم ؟، لقد كانت هذه مشاركة (!!!).

- ولا الذي يعارض هو الذي يعطيني مؤشرًا ..(!!!) .

* وعن المشاركة أيضا يقول (معبرًا عن سلبياتها في نظره) في نهاية ٦٧ ، بداية سنة ٦٨ ، بدأنا نقوم بعمليات عسكرية وفدائية داخل الأرض المحتلة ، نعبر قناة السويس بفصيلة عسكرية، ثم سرية وبعد ذلك كتيبة ، في صمت (صمت علي مَن؟!!) ، لو كانت لديك أحزاب في تلك الفترة ، فإنها (كانت) سوف تزايد وتكشف الأمر . (تكشفه لمن ؟! لإسرائيل التي تقوم بالعمليات ضد جنودها!!، وهل يعني تعدد الأحزاب شيوع الأسرار العسكرية).

* وعندما يتساءل عبد الله إمام، يرد سامي شرف قائلا :

* لا نستطيع أن نعتبر خروج مظاهرات تؤيد أي رئيس أو زعيم هو رمز للديمقراطية (يقصد لا نستطيع اعتبار مظاهرات التأييد رمزًا للديمقراطية .

* نفاجأ برد سامي شرف :

* ولتبرير موقف الثورة من الديمقراطية ، ووعودها (الدائمة) بشأنها بدءًا من بيان الثورة الأول الذي أعلن ضمن أهدافها « إقامة مجتمع ديمقراطي سليم »، تلك

الوعود – لم تعرف إلا التأجيل (بنجاح منقطع النظير) يقول سامي شرف « قبل سنة ٦٧ كنا نمر بظروف كان التوازن فيها مختلا (..) بمعني أن المؤسسة العسكرية (يقصد القوات المسلحة بقيادة عبد الحكيم عامر) كان دورها في الداخل أكبر من حجمها الذي كان من المفروض أن تكون عليه ، وبذلت محاولات خلق هذا التوازن وحدث تفكير في الاتحاد الاشتراكي (ليعدل الميزان بين العسكريين والمجتمع المدني ، (لكن الاتحاد الاشتراكي كان يقوده العسكريون بطريقة غائرة في غياهب العسكر تارية هو الأخر.. لقد كانت القوات المسلحة والاتحاد الاشتراكي – جناحين للعسكرية يتصارعان علي السلطة أحدهما يستخدم القوات المسلحة والآخر يستخدم الجماهير التي فوضت جمال عبد الناصر ، والتي لم يكن يتقبل منها عبد الناصر شيئا أكثر من أو دون التفويض!)

• ويستطرد سامي شرف : إن الظروف التي مرت بها مصر من سنة ٦١ إلى ٦٧ غير طبيعية (بدءًا من إعلان القوانين الاشتراكية ، وحدوث الانفصال بين مصر وسوريا – الجمهورية العربية المتحدة – بدأ صراع السلطة بين مؤسسة القوات المسلحة وجمال عبد الناصر بشكل في غاية الشراسة ، (وإن كان الصراع ظل مخفيا عن الجماهير الحقيقية ، وخصوصًا عن الطبقات الدنيا التي استفادت دون شك من الثورة ، وقد كانت الجماهير قادرة علي حسم الأمر لصالح جمال عبد الناصر دون خسائر ، فقط لو أعلن لها الأمر ، لكن جمال عبد الناصر ، وهيكل اللذين روجا واقتنعا بأن الفئة الوحيدة القادرة علي إحداث تغيير في العالم الثالث هي القوات المسلحة ، لم يقتنعا يومًا بقوة المارد الذي يتجاهلانه ، حتي عندما رأي هيكل الثورة الإيرانية ،والتي كانت فيها السلطة والقوات المسلحة في جانب دون انقسام ، والجماهير الثائرة في الجانب الآخر ، ورأي الصراع يُحسم لصالح الجماهير العريضة .

لم يستطع هيكل أن يغير نظريته .. ولم يكن صعبًا عليه بالطبع أن يجد أسبابًا تبدو منطقية لعدم تغيير وجهة نظره !!!).

والغريب إن لم تكن هذه رؤية جمال عبد الناصر ومحمد حسنين هيكل للأمر وحدهما ، لقد بات الكثيرون مقتنعين أن القوات المسلحة هي القادرة وحدها – والفاعلة دون شريك – في تغيير أنظمة الحكم ، بل وإحداث التقدم ، لقدرتها علي إحداث الضبط والربط المطلوبين لنجاح كل الأعمال ، أيضا لقدرة أفرادها علي تشغيل من هم أكثر منهم علمًا ، والأخذ من كل حسب ما يستطيع ، (طبعا نحن نتكلم عن الناجحين منهم ، ولا نتكلم عن الكثيرين الذين فشلوا – أفشلونا – في إدارة القطاع العام ، بعد بدايات ناجحة ، لم يكتب لها قمعَها للآخرين – الاستمرار)، لقد بات هذا الأمر قناعة عند الكثيرين ، وكأن الضبط والربط خاصية لا تلتصق إلا بالقوات المسلحة وحدها ، حتي أن كاتبًا كبيرًا مثل الدكتور عبد الملك عودة (وهو ماركسي وطني كما يحب أن يسمي نفسه ، وكأن بقية الماركسيين ليسوا وطنيين !!) وضع سيطرة القوات المسلحة ، جزءًا من الموروث العام لمصر في إدارة الأمة ، تلك الأمة التي لم يكن لها في تاريخها الطويل ، أو في أكثر فتراته طولًا، قوات مسلحة علي الإطلاق إلا إذا اعتبر المرتزقة الذين أضاعوا فترات مزدهرة من العصر الفرعوني ، وجيوش الاحتلال التي اعتمدت علي المرتزقة في عهود كثيرة ، ولقد كان المماليك المثل الأكثر شهرة بينهم منذ الأيوبيين وإلى نهاية العصر العثماني ، إن هذا الشعب لم يعرف له قوات مسلحة إلا في فترات قليلة في عهد الأسرات ، إذ لم يكن في معظم الفترات مفهوم الجيش النظامي سائدًا ، ومنذ انتهاء عصر الأسرات الفعلي باحتلال قمبيز لمصر ، وحتى المجموعة العربية انتي حاولت أن تجد لها مكانا في جيش يعتمد علي سيادة العنصرين التركي والشركسي ، لم تعرف مصر لها قوات مسلحة ،

وسرعان ما خبا نجم القوات المسلحة المصرية بالاحتلال الإنجليزي ٧٢ سنة كاملة إلى أن خرج آخر جندي بريطاني في عام ١٩٥٦ (!!) .

• لكننا مازلنا مع سامي شرف وهو يقول « إن الظروف التي مرت بها مصر من سنة ٦١ إلى سنة٦٧ – غير طبيعية (الانفصال ، مساندة الثورة اليمنية ، القوانين الاشتراكية الثانية ، مشاكل التنمية ، الحصار الاقتصادي ، مؤامرة الإخوان الثانية سنة ٦٥ ، لجنة تصفية الإقطاع (بعد حادث كمشيش الشهير) حرب ١٩٦٧ (وقد كان دور المؤسسة العسكرية في الثلاثة الأخيرات واضحًا وجليا، وهادفًا إلى إظهار سطوتها ، وأنه لا يوجد مالا تستطيع أن تتدخل فيه من أمور الوطن) ، هناك معوقات ضخمة حالت دون أن نطبق ما نسعى إليه وما نتمناه (لا تنس أنه كان يتكلم عن التحول إلى الديمقراطية !!) (..) اللي إيده في النار غير اللي إيده في الميّة ، مثلا يمكن أن تضع توقيتات معينة ، إنه شهر كذا ، سنة كذا ، ستعلن كذا ، (لا تنس أنه يتكلم عن الديمقراطية ، وبصراحة لو نسيت فلك الحق كل الحق) وقبل الموعد بخمسة عشرة يوم مثلا تظهر مشكلة من تحت الأرض ، لم تكن في الحسبان ، تأخذ جهدك وتلغي البرنامج (الديمقراطي ؟!!) وتضطر إلى تأجيله (لعل القارئ لم ينس أن في بيان ٣٠ مارس كان جمال عبد الناصر – من تحت لتحت – يؤجل الخطوات الديمقراطية – كما أوضحنا من قبل – ويحيلها كلها إلي الدستور الدائم ، وقد توفي جمال عبد الناصر وليس لمصر دستور دائم ، لقد كان – دوما – يختار من الدساتير « المؤقت » ، ومن الديمقراطية « المؤجلة »!!).

• وبرغم إصرار سامي شرف علي أن يؤكد لنا أن فكر عبد الناصر قد تطور إلى الديمقراطية في أواخر أيامه ، إلا أنه أجاب بتلقائية عندما سأله عبد الله إمام :

- من الذي يقدر المصلحة العامة ؟!

- صاحب القرار (خل بالك)

- أنا كمواطن، لماذا لا أقدر هذه المصلحة ؟

- هل لديك الصورة الكاملة، كما هي عند رئيس الجمهورية ؟! (صاحب القرار .. وحده).

- لا بالتأكيد، لكن من حقي أن أعرف.

- من حقك أن تعرف ما يخصك كمواطن[1]

هل رأينا تطور الفكر إلى الديمقراطية، هذا التطور الذي يوافق علي أن من أمور الوطن مالا يخص المواطن !!.

* ومرة أخري عن إخفاء المعلومات (ديمقراطيًا) [ولابد أنها أيضا مما لا يخص المواطن !!] ،يقول سامي شرف : « لا تستطيع أن تقول إن المسؤول الفلاني منحرف أخلاقيا، فتفضحه أمام الناس، وأمام أسرته. (ما كل هذا الحنان مع المنحرفين ؟، لماذا لم نر حنانًا كهذا ؟ لا نقول مع أعداء الثورة، بل نقول – مع أنصار الثورة الذين تخطوا الخط الأحمر، ذلك الخط الذي يفصل بين التفويض الكامل والرغبة في المشاركة في صنع القرار ؟!).

(١) هذه فلسفة خطيرة حكمتنا ومازالت، اعتبار أمور كثيرة – (غير الأسرار العسكرية، الخاصة بكيفية استخدام، السلاح بطريقة خاصة بنا، وهي الأسرار الوحيدة التي لا يمكن أن يعرفها موردو الأسلحة وغير التقنيات الخاصة بأجهزة تخابرنا والتي يجب ألا يعرفها العدو)، أمورًا تتعلق بالأمن القومي، لعل الباحثين في أي مجال يقرون إذا ما سئلوا بأي صعوبة تواجههم إذا ما أرادوا الحصول علي بيانات وأرقام موثقة عن أي شيء في هذا البلد، والمثير للضحك الذي هو كالبكاء، أن باحثينا، كانوا ولا يزالون – يحصلون علي البيانات والأرقام من مصادر أجنبية، أهمها التقرير السنوي للسفارة الأمريكية لمصر، وتقارير البنك الدولي .. وقبلها الكتب التي كانت تكتب عن مصر بواسطة الخبراء الأجانب، علي من تخفي؟! الأمور إذا وندعي أنها تمس الأمن القومي، إن السلطات في العالم الثالث، وإن ادعت الثورية أو أدعت العقلانية لا تمارس الإخفاء القسري إلا علي شعوبها.

* لكنه فيما يبدو لم يكن محرمًا علي المواطن العادي وحده المشاركة في صنع القرار ، لقد كانت محرمة أيضا علي رجال النظام (فيما عدا جمال عبد الناصر – بالطبع – والمؤسسة العسكرية من موضع القوة) إذ يقول سامي شرف ردًا علي سؤال من عبد الله إمام عن وجود سيد مرعي (الإقطاعي) علي رأس برنامج الإصلاح الزراعي (الثوري):

- لكنة نفذ أم لم ينفذ ؟ ، ولقد كان جمال عبد الناصر يقيده ، رجل فني ومن أهل الخبرة ، كما أنه لم يكن صاحب القرار .(الوزراء ليسوا أصحاب قرار من يومها).

* وعن أصحاب الرأي المخالف ، ولو كانوا يريدون تعميق مسار الثورة الاشتراكي ، يقول سامي شرف : « الاعتقال بالنسبة للعناصر الماركسية ،كان للحد من نشاطات تؤدي إلى إحداث بلبلة في أوساط عمالية أو طلابية ، أو تطغي عليها شكل المطالبات (تصوروا !!) لا يستحقها من يطالب بها (تصوروا !) في حين أن النظام يعطي من الحقوق ما هو أكثر من المطلوب (تصوروا !) في حدود الإمكانيات المتاحة .

* ويقول سامي شرف : موضوع التعذيب لابد من الكلام فيه بمنتهي الصراحة والأمانة ، وهو أن أي واقعة تعذيب وصلت إلى الرئيس ، اتخذت فيها أجزاءات عنيفة اتخذت ضد التعذيب الذي كان يتم من وراء ظهر جمال عبد الناصر !! فعبد الناصر لم يكن يقبل أن يهان أي إنسان (والاعتقال ألم يكن إهانة ،وتشريد الأسر بعد القبض علي عائلها ، وإرهاب كل من يمد لها يد المعاونة ، ومعاقبة الأقارب حتي الدرجة الثالثة والرابعة والخامسة ، ألم تكن فيها مهانة ؟!! إن منتهي المهانة أن تقضي علي حرية إنسان وكبريائه فقط لأن مطالباته التي لا يستحقها !! ـ من وجهة نظرك ـ تحدث بلبلة)

* أما تزوير الانتخابات . فيقول عنه إذ سأله عبد الله إمام :

- « ثم ما يقال عن تزوير الانتخابات لأشخاص معينين ، ليكونوا أعضاء في مجلس الأمة ؟»

- لا يوجد تزوير من لديه تزوير يثبته، يقول في هذا المكان حدث تزوير وهذه هي العلامات (حد كان يقدر؟!) ، لم يحدث ، لا النائب العام قال أن هناك تزويرا ولا قاضي من رؤساء اللجان الانتخابية (قبل أم بعد مذبحة القضاة ؟) تحدث عن تزوير ، ولا تقرير من الأجهزة تحدث عن ذلك ، إنه كلام علي علاته أطلق في مرحلة حول الانتخابات وفي اعتقادي أن المفروض كان القصد منه تشويه الصورة ، ثم إذا افترضنا جدلًا أن هناك تزويرًا ، لمصلحة من يتم ؟، وقد كنا ومازلنا رجال عبد الناصر (أنت فاهم أيها القارئ ؟!!، علي كل ، فكل من كان يقطن في دائرة قصر النيل وفي جاردن سيتي منها بالذات ، كان يعرف أن مجدي حسنين – من الصف الثاني للضباط الأحرار ، وكان وقتها مسئولًا عن مديرية التحرير – كان قد جاء بكل أسماء العاملين في مديريته ، وسجلهم في دائرتنا ، وفي كل موعد للانتخاب كانوا يجيئون بالأتوبيسات يهتفون للمسئول ، وكان مجدي حسنين ينجح دائما في دائرتنا ، ولا أذكر أنني قابلت أبدًا من يؤيده ، بل إن الدائرة كلها كبارًا وصغارًا قادت حملة شرسة لإنجاح عبد العزيز الشوربجي – نقيب المحامين في فترة من الفترات. ولكن نجح رغم أنف الناخبين السيد مجدي حسنين ، وحينما غضب عليه جمال عبد الناصر ، أصبح ينجح عندنا عبد اللطيف بلطية الذي – وإن كان مشهورًا في نقابة العمال وفي حلوان – ولم يكن يعرف أحد في دائرتنا .. ولكن يبدو أن هذا ما يقصده سامي شرف عندما قال « إذا افترضنا جدلًا أن هنالك تزويرًا ، لمصلحة من يتم ؟، وقد كنا – ومازلنا – رجال عبد الناصر »، أي أن تزوير رجال عبد الناصر لإنجاح رجال عبد الناصر ، لا يستثير غرابة ، إذا ما افترضه هو جدلًا ،

وشاهدناه ونحن واقعًا !. وإذا ظللنا نعاني من محترفيه (أصدقاء النظام القديم والأحدث والأكثر حداثة ، هم ، حتى الآن)!.

الآن نقدم تعريفًا لديمقراطية جمال عبد الناصر :

والآن لنلخص الديمقراطية كما كان يعرفها جمال عبد الناصر (وضمنها المؤجلة بالقطع)كانت الديمقراطية تعني لديه :

١- النظام يقوم بكل ما هو ممكن لتحقيق مصالح الناس (الشعب ، الجماهير ، الأمة ، الوطن) ، وما لا يقوم به النظام غير ممكن ، وليس التقصير أمرًا واردًا فيه ، والذي يطالب بشيء – لم يحققه النظام بعد – يحدث بلبلة يستحق عليها الاعتقال .

٢- المشاركة في صنع القرار ، تعني التأييد [ديمقراطية الموافقة ، التعبير السياسي الذي نحته محمد حسنين هيكل] ولا تعني ما هو أكثر من هذا .

٣- المطلوب من أنصار النظام ، «التفسير» ، أي يفسرون للجماهير ما تقوم به الثورة من أعمال حسنة أو سيئة (من نوع لماذا قبض علي فلان لأنه يحدث بلبلة لا تحتملها المرحلة التاريخية الدقيقة ، والمنعطف الخطير للثورية في العالم الثالث ..و.. ولا يظنني القارئ أتفاكه) ، ومطلوب أيضا من أنصار النظام التوعية بأن الثورة لا تستطيع الآن أن تحقق كذا وسوف تحققه في الوقت المناسب ، أيضا المطلوب منهم ، حماية النظام برصد التحركات المريبة (أي تحرك كانت تراه الثورة مريبًا ، وكان يراه السلطويون موجها ضد جمال عبد الناصر شخصيًا ، حتي لو كان هذا التحرك ضد سرقاتهم هم وتجاوزاتهم هم ، فلوجه الحقيقة لم يكن جمال عبد الناصر بالشخصية التي تسرق ، إن كان يمكن أن يتجاوز عن بعض السارقين فيما يراه مصلحة نظامه، وللإمساك بعنق رجاله مهددًا بفضحهم وقت اللزوم) وللإبلاغ عنها ، وأن ينقلوا نبض الناس وطلباتهم المسالمة في تقارير رأي عام إلى السلطة ولا ينتظرون ردًا لأن لا

أحد يلوي ذراع السلطة العسكرية).

٤- عدو النظام : كل من ينتقد تصرفات السلطة علنًا (أما الذي ينتقدها سرًا مع آخرين فيستحق الاعتقال لأنه متآمر) . وكل من يتساءل عن أمر لا يعجبه وينتظر ردًا . (وبهذا توسع مفهوم العداء للنظام ليضم الأنصار الذين لا يجيدون بلع لسانهم) .

٥- التنظيم السياسي: موصل جيد بين القمة والقاعدة (عد إلى مواضيع التفسير والتوعية والدعوة التي لابد وأن تلازم 'لفكر .. والذي يدعو إلى تحقيق مصالح أصحاب المصلحة في ثورتهم ، بين أي موقع فكري ، آثم ويفضل (فليس ما يقوله فكرًا وإنما بلبة مالا يدعو للنظام ويحمل وجهة نظره) وليس موصلا جيدًا بين القاعدة والقمة (أرجع إلى موضوع أن انتظار الرد تآمر واضح) ولعله – أيضًا – من سخرية القدر أن عبد الله إمام يحاول بعد مرور ستة وعشرين عاما علي وفاة جمال عبد الناصر أن يتساءل عن مصير التقارير التي كان يقوم بكتابتها أعضاء التنظيم الطليعي وكان هو واحدًا منهم ، وهل كان يقرأها جمال عبد الناصر ، فتكون الإجابة « كانت المحاضر (محاضر اجتماعات التنظيم في مستوياته المختلفة) ، تجمع وتُصعَد حتي أمانة التنظيم ، التي تعد تقريرًا أسبوعيًا ، وتقريرًا شهريًا ، تشمل أهم النقاط الواردة في محضر اجتماعات لجان التنظيم .. مع هذا أو متوازيا معه ، كانت تقارير شفوية ، وبلاغات في مسائل ذات طبيعة هامة ، ومسائل حيوية تمس الجماهير ، أو أوضاعًا عامة بالنسبة للعمل ولا تنتظر محضر الاجتماع فتصعدها فورًا (..) ومع مرور الزمن كان يستطيع – جمال عبد الناصر – أن يميز هذه المحاضر من نظرة واحدة (!!!) ، هناك محاضر يهتم بها جدًا ، أن إجابة سامي شرف هذه تعني أن كان المطلوب ، كل المطلوب ، إعلام الرئيس بكل شيء بما فيه نبض الناس ولم يكن المطلوب – ويوحي بهذا السؤال المتأخر لعبد الله إمام.

- أن تتلقي ردًا.

هذه هي الديمقراطية التي كان يفهمها جمال عبد الناصر حتي آخر أيامه.

ولعل ما قاله سامي شرف عن المؤسسة العسكرية (بقيادة عبد الحكيم عامر) وتعويقها للديمقراطية ، ينطبق أيضا علي جمال عبد الناصر « العسكري جدًا» ، قال سامي شرف : « نعم كانت تقيد الحركة – المؤسسة العسكرية – لأنها لم تكن حسيَسة ، فمن الصعب أن تقبل الديمقراطية لأن العسكري بطبيعته يأمر فيطاع ».

والآن وقد كدنا أن ننتهي .. لابد وأن ننتهي بهذه الأسئلة لعبد الله إمام وإجاباتها لسامي شرف ، وتعقيب منا ..

- هل تعتقد أن أمراض الإتحاد الاشتراكي تسللت للتنظيم (الطليعي) ؟.

- نعم.

- ولماذا؟

- لا يرجع ذلك إلى عدم دقة الاختيار فقط (خل بالك من فقط هذه .. بعد هذا كله !!) ، وإنما ترجع أيضا إلى اختلاف أسلوب الثواب والعقاب (..) كان يتم التغاضي عن أخطاء تنظيمية على حساب العمل العلني ، في حين المستهدف كان أن تحافظ علي الانضباط والثواب والعقاب في العمل الحزبي بصورة أكثر ثقة وأكثر حزمًا (خل بالك أيضا).

- ما هي من وجهة نظرك أخطاء التنظيم الطليعي ؟

١ – لم يكن يضم أحيانا الاشتراكيين الحقيقيين (!)

٢ – كانت بعض قياداته تمثل البيروقراطية من القيادات الإدارية والتنفيذية (هذا الأمر ليس مستغربًا في تنظيم يحاول أن يقبض علي الأمور من فوق) (..) في حين أن

القواعد ذات المصلحة الحقيقية كانوا محجوبين (خل بالك .. جدًا)

٣- كانت أمانة التنظيم في بعض المحافظات توكل إلى المحافظ (شخصية تنفيذية) الذي كان غريبا عن الإقليم ، ولا يعرف قياداته ، ويحيط نفسه بهاله من السكرتارية ورؤساء المدن والمصالح (تنظيم فوقي .. وفي التنظيمات الفوقية يعز أصحاب المصالح الحقيقية ، إذا كيف يجري الماء في العالي ؟!).

٤- البناء كان يتم من موقع السلطة ، ولم يتعرض لمواقف نضالية للفرد ، وكان الصوت العالي (المؤيد بالطبع ، ولا يخطرن ببالك غير هذا !) هو جواز المرور للعضوية في بعض القطاعات (وأنا أقول كلها).

٥- لم يراع الانتماء الطبقي (في تنظيم طليعة « الاشتراكيين »!!!!) بالدرجة الكافية للعضوية .

إن كل ما قاله سامي شرف ينطبق علي موضوع واحد ، أو يدور حول محور واحد هو « سوء اختيار الأعضاء» ، الذي أدي إلي تسلسل العناصر الانتهازية إلى التنظيم . بأمثلة مثل سابقيه جميعًا دون استثناء من تنظيمات الثورة .

ولكن كان الأمر مجرد سوء اختيار وقع فيه النظام – بحسن نية – في محاولته لإنشاء تنظيم سياسي شعبي (مثله مثل سابقيه جميعًا دون استثناء من تنظيمات الثورة) .

لا أظن ذلك .

لقد جاء الآن الوقت الذي يجب أن نتكلم فيه «قدر الإمكان » التي كانت تتلازم في مقولات جمال عبد الناصر ، مع «العوامل البشرية» . و« العوامل الإنسانية» (ولعل القارئ يذكر أننا وضعناها ملمحًا ثالثا يرسم صورة الديمقراطية كما كان

يفهمها ويريدها جمال عبد الناصر).

لقد كان سوء الاختيار – سواء بإرادة جمال عبد الناصر أو بدونها – متعمدًا في تنظيمات الثورة . فعندما كان يفاضل جمال عبد الناصر بين « من تشوبه شائبة ، وبين أحد الشرفاء الخالصين من الذين اعتادوا تجاوز الخط الأحمر الفاصل بين المشاركة بالتأييد ، والدفاع « عمال علي بطال » عن السلطة ، وبين الرغبة في المشاركة الحقيقية التي تعني إصلاح أخطاء النظام بلا هوادة لتحقيق نقاءه وفعاليته الثورية ، كان جمال عبد الناصر قبل رجاله ، وكان رجاله الناصريين أكثر من جمال عبد الناصر !! يسارعون باختيار من «تشوبه شائبة » ذلك أن جمال عبد الناصر ومن هم ناصريون أكثر من رئيس الجمهورية ، لم يكونوا يحبون وجع الدماغ ، ولم يكن وجع الدماغ شيئًا آخر غير المشاركة الحقيقية الفعالة.

إن شواهد كثيرة في اختيارات جمال عبد الناصر ورجاله تؤكد أنهم كانوا يقربون الانتهازيين أصحاب الصوت العالي المؤيد للنظام.

ولقد كانت للانتهازيين ميزة أخري ، أو أكثر ، كان عبد الناصر ورجاله يقدرونها حق قدرها ، فالانتهازي – دوما – له يد توجعه والنظام يستطيع أن يضغط علي هذه اليد التي « توجعه » عندما يحاول أن يتجاوز – انتهازيا أيضا- الخط الأحمر المذكور ، ثم أن الانتهازي منتفع انتفاعا عاجلًا ، وأصحاب الانتفاع العاجل يحمون النظام من باب الحفاظ علي « لقمة العيش الطرية » وذلك عكس الشرفاء الذين يدافعون عن « لقمة العيش » الجماعية ، سواء قدمها النظام أو شاركوا في صنع نظام أفضل يستطيع أن يقدمها (على نفس مبادئ النظام الذي تهرأ ، ودقت فيه البيروقراطية ، والمباحثيه ، والفساد أوتادهم).

ولعلي أذكر هنا مثالًا شديد الوضوح علي ما قلت ، حدث في الحياة الطلابية ،

فبعد مظاهرات الطلبة الأولي في فبراير ١٩٦٨ هرع التنظيم الطليعي في محاولة واسعة لتجنيد عدد من القيادات الطلابية البارزة في جامعتي القاهرة وعين شمس ، وبرغم أن أفراد التنظيم في عين شمس كانوا أكثر نجاحًا (وأستطيع أن أقول أشد أيمانا وصلابة واستمساكًا بمبادئ الثورة) من أمثال أحمد حمادة ،أحمد المحمدي ، طارق النبراوي ، أحمد الجمال ، بسام مخلوف ، ماهر مخلوف وغيرهم ، إلا أن « عبد الحميد حسن » هو الذي أخذ نجمة في الارتفاع (حتى صار إلي ما صار إليه بعد ذلك !!) [1] عن طريق سامي شرف (كان عبد الحميد حسن رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة ، وكان سامي شرف مسؤولا عن جامعة عين شمس ضمن دائرة « شرق القاهرة » برغم هذا صعده ، ولم يصعد الناجحين المخلصين ممن يشرف عليهم شخصيًا ، وليس إشرفًا خاصا بأوامر من عبد الناصر كما في حالة عبد الحميد حسن !!!) لا لشيء إلا لأن عبد الحميد حسن عادي طموحات الحركة التي أفرزته وقال مخفيًا مطالب الطلاب « لا خلاف بين الثورة وشبابها » ، وهيهات لأعداء الشعب » (!!) .

ولقد كان يجري أيضا – استبعاد بعض الشرفاء ، وتحجيم أدوار الكل ، بل ونال بعض الشرفاء (المستمسكون بطموحات الشباب في ثورتهم) عقوبة السجن (أحمد حمادة).

وحين رد الطلبة علي حركة الالتفاف الظاهرة التي قادتها السلطة علي اتحاد طلاب جامعة القاهرة ، وعزلوا عبد الحميد حسن (رجل سامي شرف ، الذي هو بدوره رجل جمال عبد الناصر) وولوا الطالب « حسن عيد » مكانه ، لم يتراجع

(١) لعل القارئ ليس في حاجه إلى أن أذكره ، برحلة صعود عبد الحميد حسن ابتداء من رئيس المجلس الأعلى للشباب ، ثم وزير للشباب بعد ضرب تنظيمه الطليعي (!!) إلى أن أنتهي محافظًا للجيزة وتم تقديمه للمدعي الاشتراكي في الثمانينيات.

النظام عن تقديم أجل الخدمات لمن والوه ولاءً أعمي (ثم والوا بعد ذلك نظامًا يمشي في عكس الاتجاه ولاء أعمي أيضًا) وأبقي علي تصعيد نجم عبد الحميد حسن (المعزول طلابيا !).

كان النظام يهتم ب « الطبيعة البشرية !!» ، « والعوامل الإنسانية !!، التي ينجح في السيطرة على أصحابها ، ولهذا كان جمال عبد الناصر كلما تكلم عن النقاءالثوري أردف وراءه جملة «قدر الإمكان » ، فبالطبع لم يكن يريد جمال عبد الناصر أو يقبل انتهازيين خلصاء ، إن كل ما كان يريده « مشرع انتهازي » ، يبقي تحت السيطرة بيد موجوعة (لم يتعلم جمال عبد الناصر أبدًا إن هؤلاء الذين يسيطر عليهم بالضغط علي أيديهم الموجوعة ، يستطيع أي آخر السيطرة عليهم بنفس الأسلوب ،وفي الاتجاه الآخر المعاكس أيضا).

لقد كان سوء الاختيار العمدي والتصعيد العمدي لأصحاب الصوت العالي المؤيد للنظام (أخطائه قبل حسناته) علي حساب المؤمنين الفعليين ، واحدًا من الأسباب الكبرى ، التي مكنت أنور السادات فيما بعد من أن ينفخ في تنظيم مكون من ١٥٠ ألف ، نفخة بسيطة في ١٥ مايو ١٩٧١ ، فيطير التنظيم (الضخم) في الهواء ، ويذريه ، ليكتشف الجميع كم كان التنظيم ضعيفا ، وقليل الحيلة رغم ضخامة جسده ، إن تنظيما يسيطر عليه أصحاب الأيدي الموجوعة ، تنظيم هش (يسهل السيطرة علي قياداته واستمالتهم وإرهابهم وتدجينهم).

أيضا فإن سوء الاختيار العمدي والتصعيد لأصحاب الصوت الجعجاع في تبرير أعمال السلطة إجادة الدفاع عن أخطائها ، وكان وراء الارتياح الجماهيري العميق غير المذكور لإزاحة تنظيم جمال عبد الناصر ورجاله في ١٥ مايو ١٩٧١ (لا يستطيع منصف أن يزعم أن المصريين لم يتنفسوا الصعداء عندما أزاح أنور السادات قيادات

هذا التنظيم في ١٥ مايو ١٩٧١ ذلك أن الجماهير كانت تراهم عليها لا معها !).

وعليها ، لامعها .. كانت ديمقراطية جمال عبد الناصر

وعليها ، لامعها .. كانت تنظيماته ..

كان عبد الناصر (الذي يعمل لصالح الجماهير الغفيرة حقا) يري أنه قادر علي إصلاح الأخطاء (دون تدخل الجماهير) لذلك عزل الناس عن مصالحهم الحقيقية فلما مات جمال عبد الناصر ، ترك جماهير لا تستطيع الدفاع عن مصالحها ، جماهير يمكن خداعها ، إذا ما ادعى أحد أنه يمشي علي طريق عبد الناصر (وانحني لتمثاله) ، وترك عبد الناصر – جوته – لنا أنور السادات (الذي يؤكد هيكل أن كان عبد الناصر يعرف أن له يدًا توجعه بل أياد) تركه لنا (وكان اختياره) ليمشي علي طريق عبد الناصر بالأستيكة (تعبير شعبي عبقري) دون أن يجد ممن يرفضون أن يتفرعن الفرعون – أحدًا (سليما، خاليا من الجراح) في مواجته[1].

وهكذا لم يوفر لنا تنظيم جمال عبد الناصر – الرابع – قوة ترعي مصالح الجماهير ومكتسبات الفقراء أصحاب المصلحة في الثورة ، ترك لنا مجموعة من الشرفاء المحبطين الذين حاولوا فيما بعد أكثر الصمود والصعود بفكر عبد الناصر، من مرة ولم يستطيعوا) وترك لنا أصحاب « الصوت العالي » محترفي الدفاع عن أي سلطة ، وعن كل الأخطاء ، محترفي تزوير رأي الشعب ، وقمع المعارضة الشرعية (بممارسة الردح المتعقلين) وترزية القوانين المقيدة للحريات ، والمستفيدين من الاشتراكية

(١) هل يسمح القارئ ، أن أقول له نكته حدثت بالفعل ورواها لي محمد فريد حسنين العضو البارز في التنظيم الطليعي عن الطلاب ، قال محمد فريد حسنين ، عندما دخلنا السجن في حكاية (١٥ مايو) سألت قيادة التنظيم ، لماذا لم تخرج المظاهرات ضد السادات لتأييدنا ، فأجابه واحد منهم (ربنا أمر بالستر) قائلا : لأنهم قبضوا علينا يوم الخميس والجمعة أجازة.

(الذين بنوا قصورًا ، ويعيشون ملوكا ، ويتشدقون بالعدالة الاجتماعية) ، منظري « ليس في المكان أحسن مما كان » ، والتنفيذيون الذي لا يفعلون شيئًا إلا بـ « توجيهات سيادة الرئيس » (كأن الرئيس يستعين بهم لأنه يفهم أكثر منهم في تخصصاتهم) تركهم ليمتلئ بهم كل حزب للسلطة ، في كل وقت من الأوقات ، إلى يوم يبعثون يوم تقوم قيامة الشعب.

شيء يجب ألا يفوتنا :

لعل القارئ الكريم احتار أمام حرص عبد الناصر على أن ينقل لمن اختارهم كمسؤولين عن التنظيم آراء الجماهير ، ولابد أن البعض قد ظن أن نقل آراء الجماهير عملية عظيمة ، لكنني أقرر أن نقل أخبار الناس وآرائهم كانت عملية مباحثية ، آراءها من يمتلك عديدًا من الأجهزة المباحثية في رئاسة الجمهورية وحدها ، غير المباحث العامة ، والمخابرات الحربية التي لم تعرف مدى طائرات إسرائيل المعدلة في عام ٦٧ وعرفت عن الداخل أكثر من غيرها : وبالطبع فإن المستفيدين الأكبر من كتابة التقارير كانوا الانتهازيون ، أما الشرفاء فبعضهم كتب باقتناع يؤكد له أنه يدافع عن ثورته ، والأغلب كتب خوفًا من «عِلمَ ولم يُبْلغ» ، وهي تهمة لو تعلمون عظيمة ، ومريعة ، لقد كان كل واحد يعلم أنه إذا لم يبلغ سيبلغ غيره ويوقعه في موقف عصيب ، فكان يبلغ .

وفي رأيي أن هذا كان الهدف الرئيسي - في نفس جمال عبد الناصر وهو يعد تنظيمه الرابع ، ومن أجله جعل الانضمام له سريًا .

لقد أراد جمال عبد الناصر تنظيمًا يضاف إلى مباحثياته العديدة ، تنظيم مباحثي آخر من متطوعين ، امتلأ بالشرفاء ، ثم أحبط الشرفاء .